القبر موعدنا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وبعد،..

تمهيد:

أيها الأخوة المسلمون... بعد ما انتهينا من الحديث عن أول منازل الآخرة، وهو القبر، وعن حديث القبر للإنسان، ثم ضيق القبر على الكافرين، وسعته على المؤمنين، نشرع في تتمة ما يحدث في القبر.

أهوال القبور:

بدخول الإنسان في قبره لحظة أشبه بالبارحة عند مولده، انظر ما يفعل مع الصبي عند مولده وانظر ما يفعل مع الإنسان عند وضعه في مرقده!.

قد حدث أن دخلت امرأة يهودية على عائشة رضى الله عنها وقالت لها: أعيذك من عذاب القبر فاحتبستها عندها حتى جاء النبي ﷺ وأخبرته بقولها فرفع النبي ﷺ يده وتعوذ منه. وقالت: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد ذلك إلا وتعوذ منه(١).

وقد قيل للحسن:

إن أناساً يخوفوننا حتى نبلغ الفزع. قال: قد خوفكم حتى تبلغوا الفزع أفضل ممن أمنَّكم حتى تجدوا الفزع فلم تستطيعوا أن تعملوا (٢).

وخطب النبي ﷺ حتى همهم الناس، تقول أسماء: فلم أفهم ما قاله النبي ﷺ مؤخراً فسألت عنه فقيل: إنه ﷺ قال: «**إنكم تفتنون في قبوركم كما يفتن الدجال الناس**» (٣).

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في محكم كتابه بهذه الأهوال فقال تعالى: {يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ

(١) البخاري ومسلم ١٠٠٢، ٨ - (٩٠٣).
(٢) قصة النهاية د. طارق السويدان.
(٣) قصة النهاية د. طارق السويدان.

وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾} [١].

وقد وصف النبي ﷺ فتانا القبر. فقد روى البيهقي وأحمد من حديث عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لعمر:

«... فإذا انصرفوا عنك أتاك فتَّانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر» [٢].

ويقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة: **«إذا قُبر الميت أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير»** [٣].

أما ماذا يحدث إذا دفن أكثر من إنسان في آن واحد؟ قيل: إن لكل إنسان منكر ونكير، وقيل: إن الأرض تنزوي إليهما وسئلوا جميعاً كما قال ذلك القرطبي في تذكرته. ودائماً وأبداً يسأل الإنسان في دنياه عن اسمه وبلده ومؤهله ولكن في القبر يسأل عن ربه ودينه والرجل الذي بعث فيه.

وفي القرآن والسنة ما يدل على أن السؤال للمسلم والكافر، كما قال تعالى في كتابه: { يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ } [٤].

وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يُسأل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وقد روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم...»**. زاد البخاري: "وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت. ويُضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين[٥].

---

(١) سورة القيامة الآيات (٦- ٩).
(٢) شعب الإيمان بنحوه برقم (٣٩٥) مجمع الزوائد بنحوه برقم (٢٨١).
(٣) رواه الترمذي (١٠٧١) قال الألباني حسن برقم (٧٢٦) الجامع الصغير وزيادته.
(٤) سورة إبراهيم الآية (٢٧).
(٥) رواه الشيخان من حديث أنس (١٢٧٣، ٧٠ - ٢٨٧٠).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا في جنازة مع النبي ﷺ فقال: «**يا أيها الناس: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملك وفي يده مطرقة، فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإذا كان مؤمنا قال: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت، فيفتح له باب إلى النار فيقول هذا منزلك لو كفرت بربك. وأما الكافر والمنافق فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟: فيقول: لا أدري فيقال: لا دريت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول له: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا. ثم يفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله إلا الثقلين**». فقال بعض الصحابة: يا رسول الله، ما أحد يقوم على رأسه ملك إلا هيل[1] عند ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت...**»[2].

أيها الإخوة المسلمون:

هل عذاب القبر مختص بهذه الأمة - وكذلك سؤال منكر ونكير؟

قيل: إنه مختص بهذه الأمة. والظاهر أن كل نبي مع أمته كذلك، وتُسأل كل أمة عن نبيها، وأنهم معذبون في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة.

وقد أجاب عمر على رسول الله ﷺ وقال: إذاً أنا أكفيكهما وأقول لهما: من ربكما؟! [3].

واعلم أنه قد: ثبت عذاب القبر بالكتاب والسنة وبالإجماع، ولا ينكر ذلك إلا مكابر ومعاند، ولأن منكره أنكر معلوماً من الدين بالضرورة{ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ} [4] وثبت عذاب القبر بالقرآن قال تعالى:{سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ} [5].

---

(١) هيل: أي فزع وخاف وارتجف.

(٢) رواه أحمد وابن ماجة (١١٠١٣) قال الألباني صحيح، انظر رقم (١٦٧٥) في صحيح الجامع.

(٣) التذكرة للقرطبي.

(٤) سورة البقرة الآية (٣).

(٥) التوبة الآية (١٠١).

وقال تعالى: {وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا } [1].

وفي الحديث المتفق عليه من حديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: { يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ } نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيِّ محمد ﷺ فذلك قوله: { يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ } [2].

وكما يقول النبي ﷺ من حديث أنس ﷺ: «**لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر**» [3].

إخوة الإيمان:

أما عن الأسباب الموجبة لعذاب القبر فقد قال عنها ابن القيم: اعلم أن أهل القبور يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فعذاب القبر يكون على معاصي: القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل، ومستكثر ومصدق ومكذب.

وقد ورد الوعيد بالعذاب في القبر على كثير من المعاصي والذنوب منها:

١ - النميمة والغيبة. ٢ - عدم الاستبراء من البول.

٣ - الصلاة بغير طهور. ٤ - الكذب.

٥ - تضييع الصلاة والتثاقل عنها. ٦ - ترك الزكاة.

٧ - الزنا. ٨ - السرقة وأكل الربا.

---

(١) سورة غافر الآية (٤٦).

(٢) سورة إبراهيم الآية (٢٧).

(٣) رواه مسلم ٦٨ - (٢٨٦٨).

٩ - الخيانـــة. ١٠ - ترك نصرة المظلوم.

١١ - القتـــل. ١٢ - سب الصحابة.

قال رحمه الله:

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أهل القبور معذبين، والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي بواطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ويحق لها، وقد حيل بينها وبين أمانيها.

أما عن الأسباب المنجية من عذاب القبر فقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن أسباب النجاة من عذاب القبر هي:

أن يتجنب الإنسان تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر وهي جميع المعاصي والذنوب ومن أنفع الأسباب:

١ - أن يحاسب المرء نفسه كل يوم ما خسره وربحه في يومه.

٢ - أن يجدد التوبة النصوح بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة.

٣ - الشهادة في سبيل الله ولا ينالها إلا القليل.

٤ - الموت بداء البطن.

٥ - قراءة سورة (الملك).

٦ - الموت يوم الجمعة.

٧ - إثبات الملائكة للعبد المؤمن في قبره من ناحية الصلاة، الصوم، الزكاة والحج. فهذه الأعمال تكون سبباً في الرد.

أما إذا أردت الثبات عند الممات فقد تكلم عن ذلك الفقيه أبو الليث السمرقندي فقال[1]: ويكون التثبت في ثلاثة أحوال لمن كان مؤمناً مخلصاً مطيعاً لله تعالى:

١ - في حال معاينة ملك الموت.

(١) رسالة بعنوان القبر موعدنا.

٢ - في حال سؤال منكر ونكير.

٣ - في حال سؤاله عند المحاسبة يوم القيامة.

واعلم أن التثبيت عند معاينة ملك الموت يكون بالعصمة من الكفر وأن تبشره الملائكة بالرحمة، وأن يرى موضعه من الجنة.

أما التثبيت في القبر:

أن يلقنه الله الصواب، وأن يزول عنه الخوف والدهشة، وأن يرى مكانه في الجنة.

أما التثبيت عند الحساب:

أن يُلقن الحجة، وأن يسهل عليه الحساب، وأن يتجاوز عنه الزلل والخطايا.

واعلم أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا شيء واحد كما قال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذَّنب منه خُلق ومنه يركَّب**»[١].

عَجَم، عجب بالميم والباء لغتان وهو جزء لطيف في أصل الصلب.

وقيل: هو رأس العصعص. وهو: أصل الذنب، ويتكون في نهاية العمود الفقاري.

وقد سئل ﷺ عنه كما في حديث أبي سعيد الخدري فقال:

«**مثل حبة خردل ومنه تنشؤون**»[٢]. وقوله: (منه خُلق ومنه يُركَّب) أي أول ما خلق من الإنسان هو ثم، إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى. فالواجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله من عذاب القبر وأن يستعد له بالعمل الصالح ما دام في الدنيا.

فاللهم قنا عذاب القبر وضغطته اللهم آمين.

* * *

(١) رواه مسلم وابن ماجة من حديث أبي هريرة ١٤٢ - (٢٩٥٥) ، ٤٢٦٦.

(٢) قال الألباني ضعيف برقم (٢٠٨٥) في ضعيف الترغيب والترهيب ، رواه الحاكم في المستدرك (٨٨٠١) تعليق الذهبي في التلخيص قال صحيح.

النفخ في الصور... البعث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم أما بعد..

إخوة الإيمان..

بعد ما انتهينا من أهوال القبور، وما فيها من عجائب وغرائب، نشرع اليوم في بداية النهاية، اليوم الآخر وما فيه من أهوال، واليوم الآخر هو اليوم الآخر بالنسبة لأيام الدنيا ويبدأ بالموت فمن مات قامت قيامته ودخل في اليوم الآخر.

والإيمان باليوم الآخر قرن بالإيمان بالله في أكثر من عشرين موضعاً منها قوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ } [1]. وبعد فترة في القبر طالت أو قصرت ينزل مطر من السماء على أصحاب القبور ثم ينفخ في الصور.

أما (صفة القرن الذي ينفخ فيه):

فقد روى أبو داود والترمذي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه» [2].

وجاء في كتاب (النهج السعيد في علم التجويد):

الصور: قرن من نور كهيئة البوق الذي تُزمِّر به، لكنه عظيم كعرض السماء والأرض ثم يدعو الله الأرواح ويلقيها في الصور ويأمر إسرافيل بالنفخ، فتخرج الأرواح مثل النحل فتمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ.

وقال وهب بن منبه كما في كتاب (العظمة). نقلا عن الترغيب والترهيب:

---

(١) سورة التوبة الآية [١٨].

(٢) رواه أبو داود والترمذي ٤٧٤٢، ٢٤٣٠، قال الألباني صحيح حديث رقم (٣٨٦٣) صحيح الجامع.

خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلقت به ثم قال: كن، فكان إسرافيل. فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة. فذكر الحديث وفيه ثم تجمع الأرواح كلها في الصور ثم يأمر إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها.

واعلم أن النفخ في الصور على مرحلتين على الصحيح..

١ - **النفخة الأولى**: وهي نفخة الصعق والفزع يموت كل حي وهذا قول الله:

{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾} (١).

٢ - **أما النفخة الثانية**: يحيي الله بها كل ميت وهي قوله: {وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾} (٢).

واعلم أن: { مَن شَآءَ ٱللَّهُ} قيل: هم الملائكة وغيرهم. وقيل: أصحاب الجنة والغلمان، وقيل: الشهداء أما النفخ ذكره الله في سور عدة منها: الأنعام - المؤمنون - النمل - الزمر - ق. وغيرها.

إخوة الإيمان والإسلام:

أما عن كيفية النفخ في الصور:

روى الترمذي وابن حبان من حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن - القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحابه**» فقالوا: فكيف نفعل يا رسول الله أو نقول؟ قال: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا**»(٣).

---

(١) سورة يس الآيتان (٤٨، ٤٩).

(٢) سورة الزمر الآية (٦٨).

(٣) الترمذي من حديث أبي سعيد (٢٤٣١) قال الألباني: صحيح برقم (١٠٧٩) في السلسلة الصحيحة.

والمعنى.. كيف أهنأ وأحظى بالنعم الجزيلة؛ لأن إسرافيل قد مال للإذن بالنفخ وأعظم كلمة يقولها العبد إن الله كافيه ووكيله: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد روى الطبراني في الأوسط بإسناد جيد عن عبدالله بن الحرث قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها وعندها كعب الأحبار [١] فذكر إسرافيل فقالت عائشة: يا كعب أخبرني عن إسرافيل؟ فقال كعب: عندكم العلم، قالت: أجل، قالت: فأخبرني، قال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء، وجناح قد تسربل[٢] به وجناح على كاهله[٣] والقلم على أذنه، فإذا نزل الوحي كتب القلم، ثم درست الملائكة وملك الصور جاث[٤] على إحدى ركبتيه وقد نصب[٥] الأخرى فالتقم الصور يحني ظهره[٦] وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحه أن ينفخ في الصور فقالت عائشة: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول[٧].

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**»: **قالوا يا أبا هريرة: أربعين يوما؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعين عاماً؟ قال: أبيت، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وقال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وفي رواية لا تأكله الأرض أبدا وهو عَجْب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**» [٨] وقوله أبيت فيه تأويلات كما ذكر القرطبي في التذكرة.

---

(١) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع الحميري وأصله من يهود اليمن وأسلم في عهد النبي ﷺ أو في خلافة الصديق وقيل في خلافة عمر وكان على مبلغ عظيم من العلم ومات بحمص سنة ٣٢ هـ، انظر التفسير والمفسرون - بتصرف كبير.

(٢) تسربل: كالجلباب.

(٣) كاهله: عنقه.

(٤) جاث: جالس.

(٥) نصب: آدام.

(٦) محني ظهره.

(٧) رواه الطبراني في الأوسط (٩٢٨٣) قال الألباني (منكر) برقم (٢٠٨٢) ضعيف الترغيب والترهيب.

(٨) رواه مسلم ١٤١ - (٢٩٥٥).

١ - أبيت أي امتنعت منه بيان ذلك وتفسيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أي سمعه من النبي ﷺ وهذا هو الأظهر.

٢ - أبيت أن أسأل النبي ﷺ وعلى هذا لم يكن عنده علم من هذا.

ولذا فإنه ما من إنسان إلا وسيموت حتى الملائكة المقربون فيسأل الله ملك الموت فيقول: لم يبق إلا حملة العرش وعبدك الضعيف فيأتي الأمر أولاً بالموت لحملة العرش ثم يقول الله لملك الموت مت: فيموت فيقول الله: أين الجبارون؟ أين المتكبرون ثلاثا؟ لمن الملك اليوم؟ فلا مجيب فيجيب نفسه بنفسه قائلاً: لله الواحد القهار.

أيها الإخوة الموحدون..

وبعد فترة طالت أو قصرت، يبعث الناس من قبورهم. فما هو البعث وما هو دليل إثباته؟

البعث وإثباته:

عبارة عن إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية على عجب الذنب، التي منها يركب الخلق، ثم يُحيي الله إسرافيل ويأمره أن ينفخ (نفخة البعث) ونفخة البعث تكون بعد إحياء إسرافيل. وبعد نفخة البعث فأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو رسولنا ﷺ حيث يقول: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة على الله ولا فخر، أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة**» (١). وفي ذلك يقول ربنا في سورة يس: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} (٢).

أما عن إثبات قضية البعث فيقول: د. محمد شلبي في كتابه (دراسات في العقيدة الإسلامية): فالبعث والجزاء قضية قديمة بقدم البشر، ذلك أنه لم تخل عقيدة سماوية من تقرير هذه الحقيقة وإثباتها وتأكيدها، بل إن كثيراً من العقائد الباطلة قد أقرت هذه العقيدة وآمنت بها، فالقدماء المصريون كانوا يعتقدون بحياة الإنسان بعد الممات حياة تماثل الحياة

(١) رواه أحمد (١١٠٠٠) قال الألباني صحيح لغيره برقم (٣٥٤٣) صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) سورة الزمر (٦٨).

الدنيا في جميع الأحوال، لذلك كان من قبيل الواجب على أهل الميت أن يقدموا له كل ما يحتاج إليه من طعام وشراب وملبس وزينة [١] لكن الأمر لم يخل من جماعة هنا أو هناك تنكر البعث.

وكانوا يقولون: (إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع) وقد جاءت النصوص القرآنية حاكية عن ذلك:{وَقَالُوٓاْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤} [٢] ثم يضيف فضيلته:

والنصوص القرآنية أثبتت حقيقة البعث، فقد جاءت النصوص القرآنية متوافرة ومتضافرة عن وجود العالم الآخر، وبينت أنه يوم تجتمع الخلائق منذ أول إنسان إلى آخر إنسان، يقول تعالى:{ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ } [٣] وقوله:{ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠} [٤] وقوله:{لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ}[٥].

وإثبات القسم بأدوات التأكيد:{زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ}[٦]. وقد جاء إثبات البعث بطريق عملي عن طريق القرآن، وذلك بمشاهدة الأرض تكون ميتة لا نبات فيها ولا زرع، فإذا بالماء ينزل عليها فتصبح حية، بعد أن كانت هامدة ميتة، وهكذا يكون بعث الناس من قبورهم وذلك ما جاء في قوله:{وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧}[٧].

(١) رسالة في العقيدة الإسلامية.
(٢) سورة الجاثية (٢٤).
(٣) سورة هود الآية (١٠٣).
(٤) سورة الواقعة (٤٩، ٥٠).
(٥) سورة الأنعام (١٢).
(٦) سورة التغابن (٧).
(٧) سورة الحج (٥، ٦، ٧).

ثم يذكر الدكتور / محمد شلبي: وإذا أردت أمثلة تؤكد لك هذا الأمر، فالأمثلة في القرآن أكثر من أن تحصى أو تعد، وهذا جانب (في معرض الأمثال):

* لما أعلن بنو إسرائيل عدم إيمانهم إلا برؤية الله جهرة نزلت عليهم صاعقة من السماء فأماتهم ثم بعثهم الله بعد موتهم، ولهذا قال تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(١).

* لما هربت بعض الألوف من بني إسرائيل من ديارهم بسبب وباء، ووصلوا إلى مكان معين، ومر عليهم دهر من الزمن، مر بهم نبي من الأنبياء يقال له حزقيل فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم وهذا قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ }(٢).

* لما ضرب بختنصر بيت المقدس وهدمها على أهلها وقف أحد الماريين، وسأل{أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } (٣).

* أصحاب الكهف قال الله عنهم: { فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ } (٤).

* وها هو سيدنا إبراهيم حين سأل عن كيفية البعث وإحياء الموتى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ } (٥).

(١) سورة البقرة الآيتان (٥٥، ٥٦).
(٢) سورة البقرة (٢٤٣).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٩).
(٤) سورة الكهف الآيتان (١١، ١٢).
(٥) سورة البقرة (٢٦٠).

*** أما من السنة فهذا هو أحد المواقف:**

لما جاء أبي بن خلف أو العاص بن وائل بعظام بالية، وفتتها أمام رسول الله ﷺ حتى صارت تراباً، ثم أخذ يذروه في الهواء ثم سأل: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال ﷺ: «**نعم، وسيبعثك ويدخلك النار**» حيث إن الإنشاء أصعب من الإعادة فالإعادة أسهل من الإنشاء ولذا يقول تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾} (١).

وقوله تعالى: {وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾} (٢).

ونحن نرى البركان يخرج من باطن الأرض فيفجرها تفجيرا، فإذا بالحديد ينصهر حتى يصير سائلاً ولذا يقول ﷺ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**» ويخبر الله عن هذه الحقيقة فيقول ربنا في كتابه: {وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾} كما جاء في سورة نوح [١٧، ١٨].

وبعد: فقد بان لأصحاب البصائر السديدة، والعقول الصحيحة أن البعث حق وأنه قضاء إلهي لا مفر منه ولا هروب، وهو واقع لكل إنسان مهما علت درجته أو تدنت مكانته، سواء مات أو قبر أو أكلته الوحوش أو التهمته النيران وهو عائد لا محالة حتى يوفى حقه يوم القيامة إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك اللهم آمين.

* * *

(١) سورة يس (٧٨).
(٢) سورة الإسراء (٤٩- ٥١).

أحوال الناس في أرض المحشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وبعد..

بعد ما انتهينا من الحديث عن النفخ في الصور مشتملا على: نفخة الصعق والفزع، ثم نفخة البعث، وبيان أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وبيان أن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو نبينا ﷺ: فإذا ما قام الناس من قبورهم وبعثوا من قبورهم، حشروا في أرض المحشر بعد أن تمطر السماء الماء، فيخرجوا من قبورهم ويساقوا إلى المحشر.

* معنى الحشر ومكانه: كما جاء في جوهرة التوحيد:

الحشر: هو عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة، وذلك لفصل القضاء، وهو الحكم فيما بينهم من مجازاتهم ويخرجون حفاة عراة غرلا.

أما عن مكان الحشر: فاعلم أن مكان الحشر هو أرض المقدس، ولكنها تتغير بأرض جديدة ليس فيها معالم لأحد، ولا يعرف فيها أحد، وفيها ينادي ملكاً قيل أنه جبريل وقيل إسرافيل كما حكى القرآن الكريم.

{وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾}[1]. ينادي ويقول على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وفي هذا يقول تعالى:

{وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾}[2]. ويقول أيضاً: {يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾}[3].

---

(١) سورة ق آية (٤١).
(٢) سورة المرسلات الآيات (١١ - ١٤).
(٣) سورة ق الآيات (٤٢، ٤٣، ٤٤).

*** أما عن صفة أرض المحشر وأهله:**

فهي أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، بل هو صعيد واحد، يجمع فيه أصناف الناس، من أقطار الأرض من يجازي كالإنس والجن والملائكة، ومن لا يجازي كالبهائم والوحوش والطير.

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء** (١) **كقرص النقي** (٢) **ليس فيها معلم لأحد»**.

المعنى: **العفرة**: بياض ليس بالناصع، **النقي**: الخبز الأبيض النقي عن القشر - معلم: لم تطأها قدم، ولا تعرف ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا.

بل لا تساويها إلا في الاسم قال تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ} (٣).

قال ابن عباس: يزداد فيها وينقص، وقد ذهب أشجارها وجبالها. أرض لم يعمل عليها خطيئة. وقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال:

«يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا».

{كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ} (٤) ألا وإن أول الخلائق يُكسى إبراهيم - عليه السلام - ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابي فيقول: إنك لا تدرك ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾}

(١) عفراء: بياض ليس بالناصع.
(٢) النقي: الخبز الأبيض.
(٣) سورة إبراهيم (٤٨).
(٤) رواه البخاري ومسلم والآية (١٠٤) من سورة الأنبياء ٣١٧١، ٥٨ - (٢٨٦٠).

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} [1]. قال: فيقال لي: "إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم".

زاد في رواية: «فأقول سحقاً. سحقاً».

والمعنى: حفاة: أقدامهم عارية بلا نعال. عراة: أجسامهم ظاهرة.

غرلا: أي الأقلف غير المختون (موضع الختان). ترجع الجلدة التي قطعت في مقدمة الذكر إلى ما كانت. نعيده: مثل الذي بدأنا نعيده وبدأ الخلق إيجاده. وعداً: كائناً علينا لا محالة. فاعلين: أي محققين هذا الوعد فاستعدوا وقدموا صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال. ما دمت فيهم: أي مدة وجودي فيهم. مرتدين: راجعين عن الصواب.

الردة: في الكفر الارتداد فيه وفي غيره.

أما الحكمة في كون إبراهيم أول الخلائق يُكسى: (فقد قال الحافظ في الفتح) قال القرطبي: صاحب التذكرة: يجوز أن يراد بالخلائق عدا نبينا ﷺ فلم يدخل هو في عموم الخطاب نفسه ولكن جاء عن البيهقي قوله ﷺ : **«أول من يكسى من الجنة إبراهيم عليه السلام حلة من الجنة ويؤتى بكرسي، فيطرح عن يمين العرش، ويؤتى بي فألبس حُلة من الجنة لا يقوم لها البشر ثم أوتي بكرسي فيطرح لي على ساق العرش»**.

والحكمة في ذلك: أي كون إبراهيم عليه السلام أول الخلائق يكسى يوم القيامة:

١ - أنه جرد حين ألقي في النار.

٢ - لأنه أول من استن التستر بالسراويل.

٣ - أنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه فعجلت له الكسوة أماناً له ليطمئن قلبه.

قال ابن منده كما ذكر الحافظ في الفتح: ولا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أفضل من نبينا - ﷺ - وقد ظهر لي أنه يحتمل أن يكون نبينا ﷺ خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها،

(١) المائدة الآيتان (١١٧، ١١٨).

والحلة التي يكساها حينئذ من حلل الجنة، حلة الكرامة بقرينة إجلاسه على الكرسي عند ساق العرش.

وقال الحليمي كما جاء في الفتح: بأن إبراهيم يكسى أولاً، ثم نبينا ﷺ لكن حلة نبينا ﷺ على أكمل وجه، فتُجير نفاستها ما فات من الأولين - وقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا**» فقلت: الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**»(١).

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم**» قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم. أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك**» (٢).

إخوة الإيمان والإسلام...

فقد روى النسائي والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بؤلس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**» (٣).

أمثال الذر في صورة رجال، وإن كانوا هم رجال إلا أنهم قدر رأس النمل، وقدر وزن حبة الخردل يُحقر من شأنهم لأنهم كانوا يتكبرون على الناس.

أما (صفة العرق) بالنسبة للناس فهم في أرض المحشر فيا أيها الأخ المسلم، تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السماوات والأرض، من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع

(١) البخاري ومسلم من حديث عائشة ٦١٦٢، ٥٦ - (٢٨٥٩).
(٢) رواه الترمذي (٣١٤٢) قال الألباني ضعيف برقم (٦٤١٧) ضعيف الجامع.
(٣) سنن الترمذي (٢٤٩٢) قال الألباني حسن حديث رقم (٨٠٤٠) في صحيح الجامع.

وطير فأشرقت عليهم الشمس، وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه، من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين، ولم يُمكن من الاستظلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مسيح لحر الشمس، ثم تدافعت الخلائق، ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام، وهنا يختلف العرق للناس من واحد إلى آخر ولذا فقد.

* روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال ﷺ: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعاً وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»، وفي رواية: «**يغمرهم العرق مثل الماء حتى يصل آذانهم فلا يتكلموا**».

وعند البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**يوم يقوم الناس لرب العالمين. قال: يقوم أحدهم في رشحة إلى أنصاف أذنيه**».

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا ::: مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا

وعند مسلم من حديث المقداد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل**» قال سليم بن عامر: والله ما أدري ما يعني بالميل: مسافة الأرض أو الميل التي تكحل به العين. قال: فتكون الناس على قدر أعمالهم: فى العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[1]. وقد جاء في رواية أخرى: «**حتى أن المرء يطلب أن يدخل النار**» تدنو: تقرب ويكون العرق حسب الخطايا في الدنيا.

الحقو: موضع شد الإزار وهو الخاصرة [2].

أما عن صفة طول يوم القيامة:

إخوة الإسلام... تقف الخلائق في أرض المحشر شاخصة الأبصار،

(١) رواه مسلم من حديث المقداد ٦٢- (٢٨٦٤).
(٢) الترغيب والترهيب.

لا يأكلون ولا يشربون، ولا يجدون فيه روح نسيم، يقفون هذا الموقف (ثلثمائة سنة) قال كعب وقتادة: {يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾} [1] وقد قال رسول الله ﷺ بعد أن تلا هذه الآية كما روى الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو: «**كيف بكم إن جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة ولا يُنظر إليكم**» [2].

وقد روى أبو يعلى وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «{يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾} **مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة فيهون ذلك على المؤمن كتدني الشمس للغروب إلى أن تغرب**» [3].

* وعند أحمد وابن حبان من حديث أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة**» فقيل: ما أطول هذا اليوم؟ قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة**» [4] فأبشر يا فقير يا مسكين يا من صبرت واحتسبت أنت وأصحاب البلاء.

* فقد روى الطبراني وابن حبان عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجتمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ فيقومون فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتلينا فصبرنا، ووليت الأموال والسلطان غيرنا. فيقول الله عز وجل: صدقتم. قال: فيدخلون الجنة قبل الناس وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: توضع لهم كراسي من نور، ويظلل عليهم الغمام، يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار**».

والابتلاء بالمحن والأمراض فلم تجزع بل شكرت - أي ليس كل من

---

(١) سورة المطففين الآية (٦).

(٢) الحاكم في المستدرك (٨٧٠٧) قال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحة برقم (٢٨١٧).

(٣) رواه أبو يعلى (٦٠٢٥) قال الألباني صحيح برقم (٣٥٨٩) ، صحيح الترغيب والترهيب (١١٧٣٥، ٧٣٣٤).

(٤) أحمد وابن حبان، قال الألباني ضعيف برقم (٢٠٩٥) ضعيف الترغيب والترهيب.

ابتلى ولكن مع الصبر. قال الحافظ: وقد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. وبينما الناس وقوف في أرض المحشر إذ تتطاير الصحف من تحت عرش الرحمن ذات اليمين وذات الشمال، يأخذها الناس، وأول سطر فيها{ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ} وهنا يأتي (فصل القضاء والشفاعة من نبينا ﷺ).

وهذا هو موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله، فاللهم إنا نسألك رحماتك ونعوذ بك من عذابك وعقابك اللهم آمين.

* * *

opeikandl.com

الشفاعة العظمى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبعد. إخوة الإسلام..

بعد ما انتهينا من الحديث عن الحشر، وعن حال الناس في أرض المحشر وهول هذا الموقف، وعرق هذا الموقف، ورحمة الله بالمؤمنين، وتطاير الصحف ذات الشمال وذات اليمين وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال وبينما الناس مستعدون للحساب تأتي الشفاعة من نبينا الكريم ﷺ.

(فما معنى الشفاعة وما هي أنواعها):

* **الشفاعة في اللغة:** الوسيلة والطلب - أما من ناحية العرف فهي تعني: سؤال الخير من الغير للغير.

والشفاعة لا وساطة فيها ولا محسوبية ولا لواحد دون واحد ولكن لكل من يأذن له الله كما قال: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} [(١)] أما عن أنواعها فيذكر صاحب عقيدة المؤمن: أن الشفاعة المثبتة قسمان:

الأولى: شفاعات النبي ﷺ.

الثانية: شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء الصالحين.

نسرد شفاعات غيره من الأنبياء والأولياء أولاً، حتى نبين بعد ذلك فضل شفاعته ﷺ فقد روى البيهقي وابن ماجه في الزهد قال ﷺ من حديث عثمان بن عفان: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»[(٢)].

* وعند أبى داود أنه ﷺ قال من حديث أبي الدرداء: «**يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته**» [(٣)] وها هي شفاعة القرآن.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٢) رواه البيهقي ، شعب الإيمان (١٧٠٧) قال الألباني موضوع برقم (١٩٧٨) السلسلة الضعيفة.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢٢) قال الألباني صحيح رقم (٨٠٩٣) صحيح الجامع.

* فقد روى مسلم من حديث أبي أمامة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**» (١).

* ثم الشفاعة في أهل الكفر ولكنها لا تنفع أي (الكفار).

{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾} (٢).

* وها هي شفاعة الملائكة: {ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ} (٣).

* والشفاعة في إخراج بعض المذنبين من النار.

* والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها.

أيها الإخوة المسلمون:

ونأتي إلى شفاعة النبي ﷺ التي لا يضاهيها أي شفاعة.

* أما عن أدلة ثبوت الشفاعة في حق نبينا - ﷺ - فإن الله يقول لنبيه: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾} (٤).

قال البيضاوي: وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر، وإعلاء الدين ولما ادخر له.

وقال الشاعر:

قرآنا في الضحى ولسوف يعطى ::: فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى ::: وفينا من يعذب أو يساء

ويقول النسفي: ولسوف يعطيك ربك في الآخرة المحامد ومقام الشفاعة. ويقول ابن القيم في (التبيان في أقسام القرآن): ومن الجهل ووسوة الشيطان ألا يرضى الرسول وأحد من أمته في النار إذ كيف لا

(١) رواه مسلم ٢٥٢ - (٨٠٤).
(٢) سورة المدثر (٤٨).
(٣) سورة غافر الآية (٧).
(٤) سورة الضحى الآية (٥).

يرضى النبي بم رضي به الله تعالى [١].

اتفق المفسرون على أن كلمة (عسى) من الله واجب قال أهل المعاني: لأن لفظة (عسى) تفيد الإطماع، ومن أطمع إنسانا في شيء ثم حرمه كان عاراً، والله تعالى أكرم من أن يُطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه (المقام المحمود) كما أجمع المفسرون هو (المقام الذي يشفع فيه لأمته) [٢].

وقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري (الحديث الطويل) يقول الله جل وعلا: "شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حُمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: "نهر الحياة".

والمعنى: حُمما أي فحماً، إنهم أناس قالوا لا إله إلا الله، لكنهم لم يعملوا خيرا، يعذبون في جهنم، لكن لا يخلدون فيها، بل يخرجهم الله بعقيدة التوحيد.

وقد أخرج ابن منيع عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها**».

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ:

«**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**» [٣].

وعند البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه ﷺ قال:

«**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة (أي ورب الصلاة القائمة) آت محمداً الوسيلة والفضيلة. (أعلى المراتب في الجنة)**

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم.
(٢) هدية الأزهر ... بل الشفاعة ثابتة.
(٣) الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية ، صحيح مسلم ٣٣٨ - (١٩٩).

وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد حلت لـه شـفاعتي يـوم القيامـة» والشـفاعة (رجـاء ودعـاء) (وتضـرع وبكـاء) فيسـتجيب مالـك الأرض والسماء.

إخـوة الإسـلام. هـذا جانـب مـن أحاديـث النبـي ﷺ التـي بينـت فضـل شفاعته، وبينما الناس وقوف في أرض المحشر، يأتون لطلب الشفاعة من شدة هول الموقف، وهذا ما رواه الشيخان في الحديث الطويل.

(طلـب الشـفاعة فـي أرض المحشـر) فقـد روى البخـاري ومسـلم مـن حديث أبي هريرة قال ﷺ: [1] «أنا سيد الناس يـوم القيامـة. هـل تـدرون مـم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم النـاظر، ويسـمعهم الداعي، وتدنوا الشمس فيبلغ الناس. ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى مـا بلغـتم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقـول بعـض النـاس لـبعض: (أبـوكم آدم) فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيـك مـن روحـه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا تـرى مـا نحن فيه؟ وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضـب قبلـه ولا مثلـه ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عـن الشـجرة فعصـيت، نفسي- نفسي- نفسي-، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون يا نوح: أنـت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا تـرى إلى مـا نحـن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنـا إلى ربـك، فيقـول: إن ربي غضـب اليـوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، إنه قد كانت لي دعـوة دعـوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبـراهيم. فيـأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهـل الأرض، اشـفع لنـا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضـباً لم يغضـب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنـت كـذبت ثـلاث كـذبات. فـذكرها نفسي نفسي نفسي. اذهبـوا إلى غـيري. اذهبـوا إلى موسـى فيـأتون موسـى عليـه السلام فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك برسالته وبكلامه على الناس ألا ترى إلى ما نحن فيه، اشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربي غضب اليـوم غضـباً لم

(١) البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، ٤٤٣٥، ٣٢٧ - (١٩٤).

يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها. نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم فيقول عيسى عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى محمد. فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ألا ترى ما نحن فيه؟ اشفع لنا إلى ربك فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً، لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمدا، (ارفع رأسك - سل تعطى واشفع تشفع) وأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب. أمتي يارب (الشفاعة الخاصة بأمته) فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصري».

وفي الحديث فوائد عديدة وجليلة منها:

* إنما ألهم الناس التردد إلى غير النبي ﷺ قبله ولم يلهموا المجيء إليه من أول وهلة لإظهار فضل النبي ﷺ وشرفه.

* أن الشفاعة ليست مشاركة لله - وليست خروجاً عن أمر الله بل يسجد ﷺ لله ثم يسبحه بتسبيحات يلهمه الله إياها.

* إن الشفاعة ليست برأي رسول الله ﷺ يخرج من يشاء من النار وإنما يَحُدّ الله حداً فيخرجهم من النار.

* أن الشفاعة لا يعتمد عليها الناس، فإنها لا تمنع من دخول النار، وإنما قد تكون بعد العذاب فترة ومنه له جلد على النار لحظة.

* أن الشفاعة لأهل التوحيد أما أهل الكفر الذين نص القرآن على أنهم من أهل النار، فلا شفاعة لهم [1].

* ومما يثبت شفاعته ﷺ أيضاً قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

(١) هدية الأزهر الرد على من أنكر الشفاعة ويوم عرفة.

فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥}[1]. أي أن كل نبي حريص على نجاة أمته يوم القيامة. ولقد ذكر ﷺ الأنبياء وحرصهم على أممهم فدعا الله لأمته فطمأنه الله تبارك وتعالى.

فقد روى مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أنه ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٦} [2].

وقال عيسى عليه السلام: {إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١١٨} [3]. فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل: اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم فقال الله: يا جبريل: اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»[4].

(فترضى) بالشفاعة يشفع لأمته وللبشرية كلها ويبدأ الحساب بعد أن يشفع ﷺ لأمته برفع الدرجات للبعض، وبخروج البعض من النار.

واعلم أن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه**» [5].

كما روى ذلك البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبعد الشفاعة يبدأ الحساب وهول الحساب. وهذا هو موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله.

(دعاء) اللهم ارزقنا شفاعة نبيك المصطفى اللهم آمين.

* * *

(١) سورة الضحى الآية (٥).
(٢) سورة إبراهيم الآية (٣٦).
(٣) سورة المائدة الآية (١١٧).
(٤) رواه مسلم ٣٤٦ - (٢٠٢).
(٥) سبق تخريجه، البخاري (٩٩).

الحساب وشدته

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.. وبعد..

إخوة الإيمان والإسلام:

بعد ما انتهينا من الحديث في اللقاء الماضي عن الشفاعة، التي يشفعها النبي ﷺ بصفة عامة لأهل المحشر، ثم تلك التى يشفعها للمؤمنين خاصة، وبيان فضل النبى ﷺ على غيره من الأنبياء، حيث إن كل نبي يقول: نفسي نفسي نفسي، بينما يقول النبي ﷺ: **«أنا لها أنا لها أنا لها ويسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه من محامده وثنائه بألفاظ وكلمات لم يقلها أحد من قبل.. وبعدها يبدأ هول الحساب»**.

ولكن ماذا يحدث قبل الحساب؟

عباد الله: بينما الناس وقوف في أرض المحشر، وبعد شفاعة النبي - ﷺ - تشرق الأرض بنور ربها، ويؤتى بالشهداء على الناس. قيل هو الشهيد، والأرجح كما في الآية الكريمة: {وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ}(١).

أي ملك يسوقها وملك يشهد عليها. وفي ذلك يقول ربنا: { وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾}(٢).

ويأتي رب العزة - جل وعلا - إتيانا يليق بجلاله: {وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾}(٣). ويكشف المولى - تبارك وتعالى - عن ساقه، ويدعى الكافر إلى السجود فلا يستطيع، ويدعى المؤمن فيسجد، وفي ذلك يقول

(١) سورة ق الآية (٢١).
(٢) سورة الزمر الآيتان (٦٩، ٧٠).
(٣) سورة الفجر الآية (٢٢).

الله عز وجل :{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ } [١].

وفي الحديث الطويل، يقول النبي ﷺ: «... فيحشرون إلى جهنم كأنهم سراب [٢] يحطم بعضهم بعضا، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم الله في صورة من التي رأوه فيها، قال: فيم تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس (قال القسطلاني: أي فارقنا الذين زاغوا عن الطاعة في الدنيا وتركنا مجالسهم لله) في الدنيا أفقر ما كنا إليهم (أي: نحن فارقنا أقاربنا وأصحابنا ممن كانوا يحتاج إليهم في المعاش لزوماً لطاعتك ومقاطعة لأعدائك اعداء الدين. وغرضهم التضرع إلى الله في كشف الشدة خوفاً من المصاحبة في النار ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئا - مرتين أو ثلاثاً - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية (علامة)؟ قال القسطلاني: يحتمل أن الله تعالى عرفهم على ألسنة الرسل أو الأنبياء أو الملائكة أن الله جعل لهم علامة تجلية الساق وهو الشدة من الأمر كما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ } [٣] فتعرفونه بها، فيقولون: نعم».

فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء طبقة واحدة (قال القسطلاني: كالصحيفة فلا يقدر على السجود) كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، ثم يُضرب على الجسر (أي: الصراط)[٤]. وتساق النار إلى أرض المحشر، وتسحب النار حيث يقول ربنا: {وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ ٱلذِّكْرَىٰ }[٥]. وقال تعالى: {وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾} [١].

(١) سورة القلم الآيتان (٤٢، ٤٣).
(٢) اللامع في المفازة كالماء.
(٣) سورة القلم الآيتان (٤٢، ٤٣).
(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الحدري ٤٣٠٥، ٣٠٢ - (١٨٣).
(٥) سورة الفجر الآية (٢٣).

ويقول النبي ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام (ثغرة أو فتحة)، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» [٢].

أي بمعدل ٤ بليون و ٩٠٠ مليون ملك{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ} [٣].

وفي ذلك يقول الله عز وجل :{وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾} [٤].

من هذا المشهد العظيم، الكل يسقط على ركبتيه، ومن شدة الهول والزحام يكون الناس في كرب عظيم:{وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً [٥] كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [٦].

عبدالله.. تخيل - سلمك الله:

حينما تنزل مصيبة كبرى بالإنسان، ولا يستطيع أن يتحمل هذا الأمر، فإنه يبرك على ركبتيه من شدتها، فما بالك - رحمني الله وإياك - بالموقف الأعظم:{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾}[٧].

وحين تعرض هذه الأهوال على الكفار، يجيبون كما حكى القرآن الكريم.

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾} [٨].

ومن شدة هذه الأهوال يظن الكفار أنهم لم يمكثوا في هذه الدنيا إلا

(١) سورة النازعات الآية (٣٦).
(٢) رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ٢٩ - (٢٨٤٢).
(٣) سورة المدثر (٣١).
(٤) سورة الفرقان الآيتان (١١، ١٢).
(٥) باركة على الركب.
(٦) سورة الجاثية الآيتان (٢٨، ٢٩).
(٧) سورة مريم الآية (٦٨).
(٨) سورة الأحقاف الآية (٣٤).

قليلا: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ} (١). {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا } (٢).

أما عن حال المؤمن في هذا الموقف الرهيب، فيقول عنه ربنا:

{إِنَّ ٱلَّذِينَ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾} (٣) (٤).

وبعد ذلك.. إخوة الإسلام: يبدأ الحساب.

فما معنى الحساب وسؤاله؟

أما الحساب في اللغة: فهو العد.

أما في الاصطلاح: فهو توقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلا، ويكون للمؤمن والكافر، والإنس والجن إلا من استثنى منهم (وهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء عند البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس).

إخوة الإسلام:

أما ما يُسأل الناس عنه يوم القيامة، فالأسئلة كثيرة، والحقوق كثيرة، وأولى هذه الأسئلة:

*** السؤال عن العقيدة:**

حيث يقول الله عز وجل: {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾} (٥).

*** السؤال عن الجوارح:**

حيث يقول الله عز وجل: {إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ

(١) سورة الأحقاف الآية (٣٥).
(٢) سورة النازعات الآية (٤٦).
(٣) سورة الأنبياء الآية (١٠٨)
(٤) نقلاً عن قصة النهاية.
(٥) سورة الشعراء الآيتان (٩٢، ٩٣).

} [1]. ويقول أيضاً: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾}[2].

*** السؤال عن الأربع عماد الإنسان في دنياه:**

حيث روى مسلم عن أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: «**لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن عمله ما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**»[3].

*** ثم يتم بعد ذلك السؤال عن الصلاة والدماء:**

فقد روى الشيخان البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**» [4]. وللنسائي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء**»[5] ولا تعارض إذاً بين الحديثين.

إخوة الإسلام:

ولابد أن نعلم أن للحساب ثوابت لا تتبدل ولا تتغير من أهمها:

١ - لا ظلم اليوم:

فالله تعالى هو الحكم العدل، ولا يظلم مثقال ذرة، ولا يظلم الناس، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، ويقول تعالى: {ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾}[6]. ويقول تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[7].

٢ - لا يؤخذ أحد بذنب أحد:

---

(١) سورة الإسراء الآية (٣٦).
(٢) سورة الحجر الآيتان (٩٢، ٩٣).
(٣) سنن الدارمي برقم (٥٣٩) قال الألباني: حسن صحيح (٣٥٩٢) صحيح الترغيب والترهيب.
(٤) رواه الشيخان البخاري (٦١٦٨)، مسلم ٢٨ - (١٦٧٨).
(٥) رواه النسائي (٣٩٩١) قال الألباني صحيح برقم (٢٥٧٢) في صحيح الجامع.
(٦) سورة غافر الآية (١٧).
(٧) سورة يونس الآية (٤٤).

فلا محسوبية ولا وساطة، ولكن كما حكى القرآن الكريم:{وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا } [١].

٣ - كل يطلع على ما فعل من خير أو شر:

قال تعالى:{يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا } [٢].

٤ - مضاعفة الحسنات:

إذا ما أذنب العبد ذنباً قل أو أكثر، وتاب إلى ربه توبة نصوحا فإن السيئات تبدل إلى حسنات، قال تعالى:{إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ } [٣].

٥ - السيئات لا تضاعف:

إن الله كريم، ومن كرمه أن من هم بسيئة وعملها كتبت له سيئة، ومن هم بسيئة ولم يعملها، لخوفه من الله أو لأنه خاف الله عز وجل، كتبت له حسنة، وقد دلت الأحاديث على ذلك.

٦ - إقامة الشهود:

حيث يشهد الأنبياء، وتشهد الملائكة، وتشهد الأرض. قال تعالى:{إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤} لما قرأ النبي هذه الآية قال: «أتدرون ما أخبارها؟ تشهد على كل عبد وأمة من فعل عليها فعل كذا يوم كذا وكذا»[٤].

٧ - شهادة الأعضاء:

حيث تشهد أعضاء الإنسان عليه. يقول تعالى:{ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ

(١) سورة الكهف الآية (٤٩).
(٢) سورة آل عمران الآية (٣٠).
(٣) سورة الإسراء الآية (٧٠).
(٤) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة (٢٤٢٩) قال الألباني ضعيف، انظر حديث رقم (٦٤٥٠) ضعيف الجامع.

ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾} [1].

٨ - وقبل ذلك كله: شهادة الله عز وجل قال تعالى: {بِٱللَّهِ } [2].

إخوة الإسلام:

أما عن مناقشة الحساب، فقد بوب البخاري في صحيحه باب: من نوقش الحساب عذب، وهذا يعني ما وضحه النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من نوقش الحساب عذب**» فقالت السيدة عائشة: أليس يقول الله: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾} [3] فقال: «**إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**».

واعلم - أخي في الله - أنك ستسأل عن النعيم، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «**والذي نفسي بيده. لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا، فقاموا معه، فأتى رجلاً (أبو الهيثم بن التَّيِّهان) من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته**»، فلما رأته المرأة، قالت: مرحباً وأهلا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**» قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، فانطلق فجاءهم بِعذق (عنقود فيه بسر وتمر ورطب) فقال كلوا، وأخذ مُدية (سكين) فقال له ﷺ: «**إياك والحلوب!**» فذبح لهم شاة، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق وشربوا، فلما شبعوا وروا، قال ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من**

(١) سورة فصلت الآيات (١٩- ٢١).
(٢) سورة الفتح الآية (٢٨).
(٣) سورة الانشقاق الآيات (٧ - ٩).

بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» [١].

إخوة الإسلام:

ثم توزن الأعمال بعد ذلك، والراجح فيه أن الميزان له قصبة وعمود وكفتان، كل واحدة أوسع من طباق السماوات والأرض، وجبريل آخذ بعموده، ناظر إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، حتى إن الملائكة عند الميزان تقول: ما عبدناك حق عبادتك. كما روى ذلك الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن عباس[٢] ﷺ قال: يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة، وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة، فتوضع في الميزان، فمن رجحت حسناته سعد، ومن رجحت سيئاته شقي. {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩} [٣].

نختم حديثنا بقول النبي ﷺ: «الفاذة الجامعة». فما هي هذه الفاذة الجامعة، هي قوله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨} قالها ﷺ حين سئل عن زكاة الحمر فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة» [٤].

ثم يأتي بعد ذلك حوض النبي ﷺ وعرض الناس على الصراط. وهذا هو موضوعنا في اللقاء القادم إن شاء الله تعالى.

فاللهم إنا نسألك أن تحاسبنا حساباً يسيرا، وتسكننا عالي جناتك يا أكرم الأكرمين ويارب العالمين. اللهم آمين.

* * *

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ١٤٠ - (٢٠٣٨).
(٢) صفوة التفاسير للصابوني.
(٣) القارعة الآيات (٦- ٩).
(٤) رواه البخاري (٤٦٧٩).

الحوض والصراط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وبعد،

أيها الإخوة المسلمون:

بعد ما انتهينا من الحديث عن الحساب وشدته، وعن ميزان الأعمال على الناس وفي ساحة القضاء هذه يقدم حوض النبي ﷺ والناس عطشى، والناس يحاولون الوصول إليه، فمن يوصله عمله الصالح يشرب منه شربة لن يظمأ بعدها أبدا، ومن لا توصلهم أعمالهم تهشهم الملائكة وتبعدهم عنه. وجدير بالذكر ونحن نتكلم عن حوض النبي ﷺ أن نذكر معنى الحوض ومكانه.

* الحوض: هو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب، يكون على الأرض المبدلة، وهي الأرض البيضاء كالفضة من شرب منه لا يظمأ أبدا ترده هذه الأمة.

* وقد ساق الحافظ في الفتح أقوالاً كثيرة واستشهد أن الحوض قبل الصراط ومن مجمل هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا قائم على الحوض، إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم: هلم فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا همل النَّعم**» [1] أي: ضوالها ومعناه أن الناجي قليل كضالة النعم بالنسبة إلى جملتها.

* واعلم أن لكل نبي حوضا كما قال النبي ﷺ في الحديث المروي عن سمرة: «**إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده**»[2]. أما إذا أردت أن تعرف الوصف التفصيلي

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٦٢١٥).
(٢) رواه الترمذي نقلاً عن البداية والنهاية (٢٤٤٣) قال الألباني صحيح برقم (٢١٥٦) صحيح الجامع.

لحوض النبي ﷺ فها هو كما جاء في كتب السنة المطهرة:

مساحة الحوض:

فقد أخبر النبي ﷺ عن مساحة الحوض كما جاء ذلك فى الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء**» قال العلماء: زواياه سواء معناه: طوله كعرضه.

ومن حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**حوضي كما بين الكعبة وبيت المقدس**» [1] وفي رواية البخاري من حديث ابن عمر: «**كما بين جربا وأذرح**».

قال عبيد الله: فسألته، فقال: «**قريتان بالشام**» ومن رواية أنس: «**كما بين صنعاء والمدينة**».

وقد ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض فيها اضطراب واختلاف ولكن الأمر ليس كذلك، فقد تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة وذكر منها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً كل طائفة بما كانت تعرف مسافات موضعها.

أيها الأخوة المسلمون:

* أما عن لون ماء الحوض فها هو النبي ﷺ يصف ذلك كما جاء من حديث أبي ذر ﷺ: «**... ماؤه أشد بياضا من اللبن**» [2] وفي رواية عبدالله بن عمر: «**... وماؤه أشد برداً من الثلج**» [3]. ولعل هذا يناسب شدة الحرارة والزحام الكبير والعطش الذي يجده الناس في أرض المحشر. وإذا أردت أن تعرف طعم ماء الحوض وقوامه: فكما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «**إنه أحلى من العسل باللبن**». بالله عليك هل شربت عسل نحل مخلوطاً باللبن؟ إذا كنت شربت فما طعم ذلك؟ ولكن هذا للتقريب والحوض أطعم من ذلك بكثير. وقد روى ابن

(١) مسند أحمد بنحوه (٦٥١٤) من حديث أبي سعيد.
(٢) مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ٣٦ - (٢٣٠٠).
(٣) مسند أحمد بن حنبل (٥٩١٣) بنحو قريب منه، قال الألباني حسن (٧٢٤) في كتاب ظلال الجنة.

أبي الدنيا من حديث بريدة أنه ﷺ قال: «... **وألين من الزبد**» فمن شرب ماءً بهذه المواصفات لم يظمأ أبدا ولن يسود وجهه. كما في رواية أحمد وابن حبان من حديث أبي أمامة.

* أما عن المصدر الذي يأتي منه ماء الحوض فقد قال النبي ﷺ كما جاء من حديث ابن مسعود: «**ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض**» [(١)]. وجاء عند الإمام مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**يغت** [(٢)] **فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق**».

وقد أخبر الله تعالى عن هذا النهر الذي أعطاه لنبيه بسورة في القرآن وهي سورة الكوثر {إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ﴿٣﴾}.

* ومن خلال الحديث السابق نستطيع أن نقول: أن ماء حوض النبي ﷺ يأتي من نهر الكوثر في الجنة، عن طريق أنبوبين أحدهما من فضة وآخر من ذهب دون انقطاع.

*** أما عن آنية هذا الحوض وعددها:**

فقد وجه إلى النبي ﷺ سؤالاً يحمل هذا المعنى فأجاب عنه النبي ﷺ حينما سأله أبو ذر فقال: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال:

«**والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية**»[(٣)]. فيوضح النبي ﷺ أن عدد آنية كيزان الحوض أكثر من عدد النجوم والكواكب والنبي ﷺ صادق وقد أقسم على ذلك.

قال الإمام النووي - رحمه الله : وقد جاء التخصيص بالليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر، والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها والمصحبة التي لا سحاب فيها.

واعلم يا عبد الله: أن هناك فئة ستطرد وتحرم من حوض النبي ﷺ ولا يتمكنون من الشراب منه، برغم احتياجهم الشديد للماء؛ لأنهم قد

(١) أحمد عن ابن مسعود (٣٧٨٧).
(٢) يغت فيه: يدفقان الماء فيه دفقاً متتابعا شديدا، صحيح مسلم ٣٧ - (٢٣٠١).
(٣) رواه مسلم من حديث أبي ذر ٣٦ - (٢٣٠٠).

غيروا منهج نبيهم ﷺ وقد صور النبي ﷺ هذا المعنى كما جاء من حديث سهل بن سعد: «**إني فرطكم على الحوض، من مر عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي**»[1] (أى بعداً بعداً لمن غير بعدى).

ويستفاد من ذلك:

كل من أحدث في أمر الدين وغيّر فيه فهو شقي محروم مطرود، ومبعد عن حوض النبي ﷺ حيث إن السعادة كل السعادة فيمن يشرب من هذا الحوض، وإذا أردت أن تكون من هؤلاء السعداء الذين يشربون من حوض النبي ﷺ فعليك بأمور عدة منها:

١ - **الصدق مع الله**: وعدم الاغترار بالدنيا، حيث يقول تعالى: {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ}[2]. ومنها الاقتداء بالنبي ﷺ. حيث أخبر ربنا في كتابه: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ}[3].

٢ - **إطالة الغرة والتحجيل**: قال النووي: تطويل الغرة: هو غسل شيء من مقدم الرأس وما يجاور الوجه زائداً عن الجزء الذي يجب غسله لاستيقان كمال الوجه. أما التحجيل فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين وهذا مستحب.

٣ - **الإخلاص**: وقد قال ابن مسعود كما في التذكرة: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصت ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقي لله سقاه؛ ومن كسا الله كساه ومن عمل لله كفاه، ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم.

*** ومن الأسباب التي تساعد على الشرب من حوض النبي ﷺ :**

الثبات على الإيمان: فالذي سيشرب من الحوض هم الثابتون على الإيمان والتقوى حتى الموت، وإن مقدار ما يشربون بمقدار حبهم

(١) في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ٦٢١٢، مسلم ٢٦ - (٢٢٩٠) بنحوه.
(٢) سورة فاطر آية (٥).
(٣) سورة الأحزاب آية (٢١).

للرسول ﷺ وللحب آثاره في السلوك، ثم يمر الناس بعد ذلك على الصراط فماذا يعني الصراط؟

الصراط يعني من الناحية اللغوية: الطريق الواضح فهو مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه لأنه يبتلع المارة.

أما من الناحية الشرعية: فهو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون[1].

ووصف الصراط أيضا فإنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك إلا الله.

وقد جرت العادة بتسميته الغامض الخفي: دقيق فضرب له المثل بدقة الشعرة ومعنى أحد من السيف أي: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعا منهم إلى طاعته وامتثاله.

أيها الإخوة المسلمون:

إذا كان هذا هو معنى الصراط.. فما هي أحوال الناس عليه؟!

يخبر النبي ﷺ عن ذلك كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه [2] فيقول: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق. قلت بأبي وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح. ثم كمر الطير. وشر الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم. سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا. قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس[3] في النار**».

وقد جاء وصف الصراط في حديث آخر للنبي ﷺ كما جاء عن أبي

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد.
(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ٣٢٩ - (١٩٥).
(٣) مكدوس: يساق ويدفع بشدة - والكلاليب هي أشبه بالخطاطيف.

هريرة ﷺ: «ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم: يعني أولها ووسطها وآخرها فأكون أول من يجوز (يمر) من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان (نبت ذو شوك معقف) هل رأيتم شوك السعدان؟! قالوا: نعم. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق (يهلك) بعمله، ومنهم من يُخردل (يخدش ويؤذي من النار) ثم ينجو». وقد جاء هذا التصوير أيضاً في سورة الحديد كما يقول ربنا:

{يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾} [1].

وقد جاء عند أبي داود من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: ذكرت النار فبكيت فقال ﷺ: «ما يبكيك؟» قلت: ذكرت النار فبكيت. فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز» [2] أي يمر.

* وقد أخبر الله جل وعلا في سورة مريم عن ورود الناس على الصراط فقال:

{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [3]. قيل: أن الورود هو المرور على

(١) سورة الحديد الآيات (١٢- ١٥).
(٢) رواه أبو داود من حديث عائشة (٤٧٥٥) قال الألباني ضعيف برقم (٢١٠٨) في ضعيف الترغيب والترهيب.
(٣) سورة مريم الآية (٧١).

الصراط، كما جاء ذلك عن ابن عباس وابن مسعود عن النبي ﷺ كما ذكر ذلك صاحب العقيدة الطحاوية.

وقيل: أن من وردها ولم تؤذه بلهيبها وحرها فقد أُبعد عنها ونجا، كما حدث لإبراهيم عليه السلام - حينما أُلقي في النار فجاء الأمر من الله لها: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ}[1] ثم يأتي القصاص فيما بين الناس ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار. كما جاء من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة**».

فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا[2]. حتى الحيوانات سيكون هناك قصاص بينهم حيث أخبر ربنا: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾}[3] وكما جاء عن النبي ﷺ أنه: «**يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».

وقد ورد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[4].

فاللهم سهل علينا المرور على الصراط وقنا عذاب النار وتوفنا مع الأبرار

* * *

(١) سورة الأنبياء الآية (٦٩).
(٢) البخاري عن أبي سعيد الخدري (٦١٧٠).
(٣) سورة التكوير الآية (٥).
(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ٥٩ - (٢٥٨١).

النار وشدتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل في كتابه: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ } ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل - ﷺ - في الحديث الشريف: «**إن أدنى أهل النار عذاباً الذي له نعلان من نار يغلى منهما دماغه**» رواه الطبراني وابن حبان من حديث أبي هريرة. ثم أما بعد..

تمهيد:

أيها الإخوة الأحباب... بعد ما انتهينا من الحديث عن حوض النبي ﷺ وما فيه من نعم للمؤمن ومن الحديث عن الصراط وعن أحوال الناس عليه، نشرع اليوم في الحديث عن النار وشدتها.

أولاً: كيف يدخل أهل النار النار. كما جاء في " عقيدة المؤمن "؟

يؤتى بأهل النار يساقون إليها أفواجاً متتابعة فوجاً بعد آخر وزمرة تلو الأخرى وقد برزت لهم كما قال تعالى: {وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا}[1].

وما إن تراهم من مكان بعيد حتى سمعوا لها تغيظاً وزفيرا. كما قال تعالى: {إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾} [2]. ثم يخرج منها عنق فيلتهم من شاء الله أن يلتهمهم من أهل الموقف من الجبارين والمشركين، فقد جاء هذا واضحاً في قول النبي ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بكل جبار عنيد ولكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين**» [3].

وتساق تلك الزمر إلى جهنم حتى إذا وصلوها وجدوا أبوابها مغلقة كما قال ربنا: {حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا} [4]. فتفتح لهم، ويدفعون إليها دفعا عنيفا. كما قال تعالى: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ

(١) سورة الزمر رقم (٧١).
(٢) سورة الفرقان الآية رقم (١٢).
(٣) رواه الترمذي (٢٥٧٤) قال الألباني صحيح برقم (٨٠٥١) صحيح الجامع.
(٤) سورة الزمر الآية رقم (٧٤).

ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[1]. ثم يلقون منها في أماكن ضيقة وهم مقيدون في الأصفاد، مكبلون بالسلاسل والأغلال، كما قال تعالى: {وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣} [2] ثم يبدأ اللوم فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضا كما قال ربنا: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} وكما قال: {هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} [3]. وكما قال تعالى: {وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤} [4].

وقال رسول الله ﷺ: «... **أتضحكون ووراءكم جهنم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب**» [5]. أي: ما سهل عليكم تناول الطعام.

أيها الإخوة المسلمون، هذه هي كيفية دخول أهل النار النار، أما إذا أردت أن تعرف شدة النار وعمقها:

فاعلم أن حر جهنم لشدته قد يصهر كل ما يلقى فيه وأن الاستعار والتأجج في جهنم يزداد باستمرار لقوله تعالى: {مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا}.

{ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨} [6]. ولذا فلن نستطيع أن نقدر حر جهنم بأي نسبة من النسب التي يعرفها الناس اليوم عندما يقيسون حرارة أي جسم حراري سواء كان مغلياً أم ناراً ملتهبة.

---

(١) سورة الطور الآيات رقم (١٣- ١٦).
(٢) سورة الفرقان الآية (١٣).
(٣) سورة الطور الآية (١٤).
(٤) سورة ص الآيات (٦٢- ٦٤).
(٥) رواه الطبراني من حديث أنس ، الحديث فيه زيادة عن ذلك (٢٥٨٣) قال الألباني: ضعيف برقم (٤٨١٦) ضعيف الجامع بنحوه.
(٦) سورة الإسراء الآيتان (٩٧، ٩٨).

بيد أننا أخذنا في اعتبارنا هذا الحديث الذي رواه الشيخان واللفظ لمسلم قال رسول الله ﷺ: «**ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم**» قالوا: إن كانت لكافية يا رسول الله فقال: «**فإنها فضلت عليها بتسع وستون جزءاً كلها مثل حرها**» (١). فإذا عرفنا درجة حرارة اليوم وضربناها بالنسبة المذكورة في الحديث أمكننا حينئذ أن نعرف درجة حرارة جهنم على وجه التقريب والمقايسة فقط وإذا كانت هذه بعض شدة النار، فإن لون النار على الرغم من أنها جسم حراري ملتهب مضيء إلا أن نار الآخرة لا تستطيع أن تحكم على لونها إلا من خلال الوحي فقط، ولذا فقد روى الإمام مالك في موطئه أن النبي ﷺ قال: «**أترون نار جهنم حمراء كناركم هذه؟ لهي أسود من القار**» أي: الزفت.

وقال رسول الله ﷺ: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة**»(٢).

أما عن عمقها: فإن جهنم وهي إحدى دركات دار البوار ليس من الممكن بغير الوحي الإلهي معرفتها لذا يوضح النبي ﷺ: «**إن الصخرة لتلقى من شفير جهنم فتهوي سبعين عاماً وما تفضي إلى قرارها**». كما رواه الترمذي من حديث الحسن وقال أبو هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة (صوت سقوط الحجر)، فقال النبي: «**تدرون ما هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر رمي في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**» (٣).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد (٤).

---

(١) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ٣٠٩٢، ٣٠ - (٢٨٤٣).
(٢) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة (٢٥٩١) قال الألباني: ضعيف (٢١٢٥) ضعيف الجامع.
(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ٣١ - (٢٨٤٤).
(٤) رواه الترمذي في سننه (٢٥٧٥) قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره برقم (٣٦٧١) صحيح الترغيب والترهيب.

وفيها أودية كثيرة أمثال: الغي، والويل... وهي دركات وبها السلاسل والأغلال والعقارب والحيات.

أيها الإخوة الأحباب: هذا جانب من شدة النار وعمقها على سبيل الإيجاز أما عن طعام أهل النار وشرابهم:

فهل لأهل النار من طعام؟ وهل حياتهم تمكنهم من أن يأكلوا أو يشربوا؟ الطعام والشراب من لوازم الحياة نعم، فإن لأهل النار مطاعم كثيرة ومشارب وأهل النار أحياء لا يموتون، إذ لو ماتوا لاستراحوا من العناء والعذاب، ولكنهم لا يموتون كما قال تعالى:{ نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ }[1]. وقد يسألون الموت بالفعل ويطلبونه ولكن لا يستجاب لهم. وقد جاء في سورة غافر طلبهم الموت كما في القرآن في قوله تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ عَنَّا } ،{وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾}[2]. وقد أخبر تعالى عن عدم موتهم بقوله:{لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا }[3].

وها هي بعض أنواع طعامهم:

١ - **الزقوم**: هو ثمر يخرج من شجرة تنبت في أصل الجحيم، شديد المرارة يغص في الحلق، فلا يسوغ إلا بالماء الحميم، ومن خواصه أنه يغلي في البطون غليان الماء فهو شبيه بالجير إن صب عليه الماء فار وغلا قال تعالى في بيانه:

{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾}[4]. وقرأ رسول الله ﷺ:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾}. وقال: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون**

(١) سورة النساء الآية (٥٦).
(٢) سورة الزخرف الآية (٧٧).
(٣) سورة فاطر الآية (٣٦).
(٤) سورة الدخان الآيات (٤٣- ٤٦).

طعامهم؟» كما روى ذلك أحمد في مسنده والترمذي من حديث ابن عباس.

٢- **الغسلين**: هو عصارة أهل النار من قيح وصديد وعرق وما يخرج من ذوي الخلق الذميم جاء في سورة الحاقة: {فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾}.

٣- **الضريع**: وهو شوك مر شديد المرارة يسيغه الآكل بالحميم فيسبب له إسهالا فظيعا، فلذا و لا يسمن آكله ولا يغنيه من جوع قال تعالى: {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾} كما جاء في سورة الغاشية.

أخي المسلم: هذا جانب من طعامهم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم.

أما عن شرابهم فها هي بعض أنواع مشاربهم:

الشراب لازم كل إنسان يحيي حياة، ولكل ذي كبد رطبة، وإذا كان أهل النار يأكلون وبينا بعض أنواع طعامهم، فإنهم في حاجة إلى شراب، ولكن هذا الشراب لا يزيدهم إلا حسرة وندامة.

وهذا بعض أنواع شرابهم:

١- **الحميم**: وهو ماء حار - يجري من عين آنية أي (درجة الحرارة قد انتهت إلى ما لا يزيد عليه أبداً، ومن خواصه: أنه يصهر ما في بطونهم ويقطع أمعاءهم كما جاء في كتاب الله، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾} [(١)].

وقال تعالى: {وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾}[(٢)].

٢ - **ماء الصديد**: وهو ماء كدرة يحوي كميات من الصديد يغص به شاربه حتى لا يكاد يسيغه، يعاني شاربه منه آلاماً لا يعلم مداها إلا الله تعالى قال تعالى في سورة إبراهيم: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

(١) سور الغاشية الآيات (٢- ٥).
(٢) سورة محمد الآية (١٥).

وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ }.

٣ - **المُهْل**: وهو ماء ثخين حار، حتى لكأنه النحاس المذاب بحيث إذا أدناه أحدهم من فمه ليشربه، شوت حرارته جلده ووجهه قال تعالى في سورة الكهف الآية (٢٩):{وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ }.

أما عن ثياب أهل النار فقد قال الله تعالى:{فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ نَّارٖ} [(١)]. وقال أيضا:{لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ}[(٢)]. وقال:{ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ } [(٣)].

وها هي فحش أجسامهم ومنظرهم وبكائهم: قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر مثل جبل أحد، وفخذه مثل البيضاء (جبل)، ومقعده من السفار كما بين قديد ومسكة، وكثافة جسده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار "ملك من ملوك اليمن"**»[(٤)].

٤ - بكائهم وعويلهم.

أما عن بكائهم:

إن البكاء والعويل من لوازم المعاناة والآلام، وعن مقاساة الشدائد والأهوال فهم يتضاغون فيها ويصطرخون ويدعون بالحسرة والويل والثبور.

قال ربنا:{ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي نَعۡمَلُۚ} [(٥)]. وقال ربنا:{ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا لَّقَدۡ أَضَلَّنِي

(١) سورة الحج الآية (١٩).
(٢) سورة الأعراف الآية (٤١).
(٣) سورة الزمر الآية (١٦).
(٤) رواه أحمد فى مسنده من حديث عبدالله بن عمرو (١٠٩٤٤) قال الألباني صحيح لغيره برقم (٣٦٨٢) صحيح الترغيب والترهيب.
(٥) سورة فاطر الآية (٣٧).

عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾} [1].

إخوة الإيمان: إذا كان أهل النار ينادون على مالك فلم يستجب لهم إلا بعد ألف عام وأخبرهم أنهم ماكثون[2] فإنهم بعد ذلك ينادون على رب العزة ويقولون: {رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}[3] عندها ييئسون ويبكون على سوء مصيرهم وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل النار يبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليبكون الدم يعني مكان الدمع**» [4]. هذا عرض موجز عن النار وما فيها من أهوال وإليك مسك الختام ألا وهو الحديث عن الجنة.

اللهم قنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار وهذا هو موعدنا في اللقاء القادم إن شاء الله.

* * *

(١) سورة الفرقان الآيات (٢٧- ٢٩).
(٢) قاله الأعمش نقلا عن التذكرة.
(٣) سورة المؤمنون الآيات (١٠٦- ١٠٨).
(٤) رواه الحاكم والمنذري ووافقهما الذهبي عن أنس، المستدرك (٨٧٩١) قال الألباني صحيح (١٦٧٩) السلسلة الصحيحة.

obeikandl.com

الجنة ونعيمها

الحمد لله رب العالمين، أعد الجنة للطائعين، وجعل النار للعاصين، وأشهد ألا إله إلا الله القائل في كتابه الكريم: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣}[1].

ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ القائل عنها: «وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام» [2].

تمهيد:

أيها الجمع الكريم... بعد الانتهاء من الحديث عن النار وما فيها من أهوال يقف إبليس ويخطب في أعوانه، كما سجل القرآن الكريم: { وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣}[3].

فقد وصف الله تعالى الجنات في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان في غير ما سورة من القرآن وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن، وهل أتاك حديث الغاشية، وسورة الإنسان، وبين ذلك نبينا ﷺ بأوضح بيان فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصحاح والحسان وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان رضي الله عنهم.

أيها الإخوة المسلمون:

وحينما أردت الحديث عن الجنة وقفت حائراً قلقاً لا أدري ماذا أكتب وماذا أقول؟ فوجدت القلم حائراً بين السطور. ولم لا يحتار وأحتار وأنا

(١) سورة آل عمران آية (١٣٣).
(٢) رواه النسائي (٢٠٥٣٤) قال الألباني: صحيح (٣٦٩٢) صحيح الترغيب والترهيب.
(٣) سورة إبراهيم آية (٢٢، ٢٣).

أريد أن أتكلم عن جنة الرحمن، ونظراً لطول الحديث عن الجنة وما فيها من نعيم آثرت الحديث فيها بعقل الإنسان القاصر عما كان في حاجة إليه في دنياه من الوصف العام لها، من مأكل ومشرب، وملبس ومن خيام وأسواق وعن مطيتها، وعن نسائها، وتلك هي الأشياء التي تشبه ما يستخدمه الإنسان في دنياه ثم ختمت بخاتمة آخر أهل الجنة دخولاً، رؤية الله، ذبح الموت، ألا هل من تائب!!

أيها الأخ الكريم. اعلم أنه: مهما بلغ عمل الإنسان في دنياه من الخير فليس هذا يعني دخوله الجنة، بالنظر إلى نعم الله التي أنعم بها على الإنسان تجد أن نعمهُ أكثر من أن تحصى أو تعد ولكن هو العمل: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، ولذا يأتي النبي ﷺ: بقوله: «**لن يدخل أحدكم الجنة عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»[(١)]. فدخول الإنسان الجنة يكون برحمة الرحمن جل وعلا ونسأل الله أن نكون من هؤلاء.

والآن إليك الحديث عن الجنة وبداية الحديث عنها يكون:

عن باب الجنة واستقبال أهلها:

فماذا عند باب الجنة؟ فكما جاء في كتاب عقيدة المؤمن: إن عند باب الجنة شجرة عظيمة ينبع من أصلها عينان، قد خصصت إحداها لشراب الداخلين، وثانيتها لتطهيرهم فإذا شربوا من الأولى جرت في وجوههم نضرة النعيم فلا يبأسون أبداً، وإذا اغتسلوا من الثانية لم تشعث أشعارهم أبدا، وفي القرآن الكريم مصداق ذلك في سورة الإنسان:{ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}[(٢)].

وعند المنذري في الترغيب موقوفاً على على ﷺ قال ﷺ: «**وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداها جرت في وجوههم نضرة النعيم وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدا**» [(٣)].

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ٥٣٤٩، ٧٥ - (٢٨١٦).
(٢) سورة الإنسان آية (٢١).
(٣) رواه المنذري عن على في كتاب الترغيب والترهيب (٥٦٢١) قال الألباني ضعيف

أما عن استقبال أهل الجنة:

فإن دخول الجنة سيكون قطعاً في فترات متتالية، وقد يبعد ما بين الفترة والأخرى، إذ صح أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، كما روى ذلك أبو داود من حديث أبي هريرة. وذلك لعدم ما يستلزم وقوفهم طويلاً في ساحة فصل القضاء، وموقف الحساب بخلاف أهل الجنة في سورة الزمر يقول ربنا: { وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ } [(١)].

وإذا كانت أمة النبي محمد ﷺ آخر الأمم، إلا أنها أول الأمم دخولاً والنبي ﷺ أول من يدخل الجنة وكل إنسان في حاجة إلى جواز كي يدخل به الجنة فقد قال رسول الله ﷺ: **«أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة»** [(٢)].

وقال النبي ﷺ: **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم»** [(٣)].

وقال ﷺ: **«لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»** [(٤)].

وقد قال ﷺ: **«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة** [(٥)]. **وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»** [(٦)].

جدًا (٢١٨١) ضعيف الترغيب والترهيب.

(١) سورة الزمر آية (٧٣).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ٣٣١ - (١٩٦).

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ٨٥٦ ، ٢٠ - (٨٥٥).

(٤) المعجم الكبير برقم (٦١٩١)، المعجم الأوسط برقم (٢٩٨٧).

(٥) الألوة: العود يتبخر به.

(٦) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، ٣١٤٩، ١٥ - (٢٨٣٤).

وقال ﷺ: «**أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء**» [(١)].

وهذا التفاوت بين أهل الجنة يأتي نتيجة تفاوت أعمالهم في الدنيا وتستقبل الملائكة وفود الرحمن عند دخولهم إلى دار السلام وأول المستقبلين هو رضوان خازن الجنان ثم الملائكة الموكلون بنعيم أهل الجنة قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [(٢)].

وقال تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [(٣)].

وقال ﷺ: «**مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله**» كما عند البخاري وأحمد من حديث معاذ ومعنى ذلك العمل بمقتضاها وأركانها - أما إذا أردت معرفة الوصف العام للجنة فاعلم إنها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة وملاطها (مادة البناء) المسك الأزفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم). كما جاء عند أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أخبر الصادق المعصوم ﷺ عن الجنة فقال: «**إن الله خلق الجنة البيضاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم**»[(٤)]، قال القوم إن شاء الله.

وقال ﷺ: «**ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لا حظر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمرة نضيحة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة خبرة (سرور) ونعمة في محلّة عالية بهية**». قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها.

---

(١) رواه الحاكم من حديث ابن عباس (١٨١٥) قال الألباني ضعيف، حديث رقم (٢١٤٧) ضعيف الجامع.

(٢) سورة الزمر آية (٧٣).

(٣) سورة الرعد الآيتان (٢٣، ٢٤).

(٤) المعجم الكبير (١١٢٠١) بنحوه قال الألباني موضوع برقم (٤٣١) السلسلة الضعيفة .

قال: «**قولوا إن شاء الله**» فقال القوم إن شاء الله[١].

أخي المسلم: أما إذا أردت أن تعرف شيئاً عن خيام وأسواق وأنهار وأشجار الجنة فبما أن الجنة حاوية لكل أوجه النعيم الروحاني والجسمانى مشتملة على كل ضروب السعادة وصنوف النعيم، فلا يستنكر أن يكون فيها خيام وأسواق حيث يقول ربنا في سورة الرحمن: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾} [٢].

والسؤال: ما هو شكل هذه الخيام؟ فقد جاء الوصف عن شكل هذه الخيام على لسان النبي ﷺ فقال: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ. واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً وعرضها (ستون ميلا) للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا**»[٣].

وليس من المستبعد أن تتوق نفس المؤمن في الجنة إلى دخول سوق من الأسواق وخاصة المؤمنين الذين تعودوا الضرب في الأسواق والأرباح الطائلة، كعبدالرحمن بن عوف وأمثاله من أهل الصدق والأمانة ولذا يقول النبي ﷺ: «**إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال، فتحنو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالا، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**»[٤].

معشر الموحدين:

أما عن أنهار الجنة وأشجارها:

فأنهار الجنة حدثنا القرآن الكريم عن جانب منها كما جاء في سورة محمد الآية (١٥) قال تعالى: {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ }.

(١) رواه ابن ماجة من حديث أسامة بن زيد (٤٣٣٢) قال الألباني ضعيف (٤٩٨٨) ضعيف الجامع.
(٢) سورة الرحمن آية (٧٢).
(٣) رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري (٤٥٩٨) بنحو قريب منه، مسلم ٢٣ - (٢٨٣٨).
(٤) رواه مسلم من حديث أنس ١٣ - (٢٨٣٣).

ونهر الكوثر الذي أعطاه ربنا لنبينا محمد ﷺ فكما جاء في محكم كتابه في سورة الكوثر قال تعالى: {إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ۝٣}.

فهذا جانب من حديث القرآن عن أنهارها.

أما عن الأشجار: فها هو النبي ﷺ يخبرنا في الحديث: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**» (١).

واقرؤوا إن شئتم: {وَظِلّٖ ۝٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤} سورة الواقعة الآيات (٣٠ - ٣٤).

يقول ابن عباس عن الظل الممدود: شجرة في الجنة على قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها.

كما قال ذلك ابن القيم في كتابه النفيس (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح).

- أما عن الطعام والشراب:

فيقول الله تعالى: {إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣} (٢).

ويقول تعالى: {وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} (٣).

ويقول تعالى: {وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ} (٤).

- وقال ﷺ: «يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس» (٥).

- أما عن اللباس والشراب:

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٤٥٩٩).
(٢) سورة المرسلات آية (١٩).
(٣) سورة الزخرف آية (٧٢).
(٤) سورة الطور الآية (٢٣).
(٥) رواه مسلم من حديث جابر ١٩ - (٢٨٣٥).

يقول تعالى: {وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [1].

ويقول تعالى: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [2] {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ} كما في سورة الدخان [٥١ - ٥٥].

إخوة الإسلام.. هذا جانب من طعام وشراب أهل الجنة.

- أما عن الخيل وركوبها: كما جاء في وصف الدور الثلاثة: فقد روى الطبراني ورجاله ثقات قال عبدالرحمن بن ساعدة رضي الله عنه كنت رجلاً أحب الخيل فقلت: يا رسول الله، هل في الجنة خيل؟ قال: «**إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من الياقوت، له جناحان يطير بك حيث شئت**».

وقال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حُلل ومن أسفلها خيل من ذهب، مُسرجة ملجمة من دُر وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد البصر فيركبها أهل الجنة، كما تطير بهم حيث شاؤوا**» كما روى ذلك ابن أبي الدنيا عن علي رضي الله عنه.

أما عن حظ أهل الجنة من النساء والغناء فعن النساء، قال تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾} [3] وقال تعالى: {وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ} [4].

وقال رسول الله ﷺ: «**لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض مسكا ولأذهبت ضوء الشمس والقمر**» كما روى ذلك الطبراني من حديث سعيد بن عامر.

وقال ﷺ: «**لا تؤذين امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا**» كما رواه ابن ماجة عن معاذ.

وقال تعالى: {فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} سورة الروم الآية (١٤) قيل: الحبرة: اللذة والسماع نقلاً عن القرطبي.

---

(١) سورة الإنسان آية (٢١).
(٢) سورة الحج آية (٢٣).
(٣) الواقعة الآيات (٢٢، ٢٣).
(٤) الدخان الآية (٥٤).

قال الرسول ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعا للحور العين، يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمان فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له» رواه الترمذي.

وكما قال ذلك ابن القيم في كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح).

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الحور العين في الجنة يغنين، يقلن: نحن الحور الحسان هدينا لأزواج كرام»[1].

إخوة الإيمان: هذا قليل من كثير، وغيض من فيض عن نعيم أهل الجنة، أما عن آخر أهل الجنة دخولاً: فقد قال النبي ﷺ: «إني أعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا قال: فيقول أتسخر بي وتضحك وأنت الملك قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»[2].

إخوة الإسلام ثم يأتي بعد ذلك النعمة الكبرى ألا وهي:

- رؤية الله تعالى:

رؤية الله تبارك وتعالى جاءت نصوص القرآن والسنة المطهرة موضحة لهذا الأمر وأنه ليس بالأمر المحال على أهل الإيمان فقال ربنا: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [3].

وقال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [4]. والحسنى هي دخول الجنة، والزيادة هي: رؤية الله جل وعلا.

(١) المعجم الأوسط (٦٤٩٧) قال الألباني صحيح لغيره برقم (٣٧٥٠) صحيح الترغيب والترهيب.
(٢) رواه البخاري (٦٢٠٢) ومسلم ٣٠٨ - (١٨٦) من حديث ابن مسعود .
(٣) سورة القيامة الآيتان (٢٢، ٢٣).
(٤) سورة يونس آية (٢٦).

قال رسول الله ﷺ: «إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول: إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب. فيُطعمون، ثم يُسقون ثم يكسون، فيقولون لم يبق إلا النظر إلى وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجداً، فيقال: لستم في دار عمل، إنما أنتم في دار جزاء» (١).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا» (٢).

قال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر- واقرؤوا إن شئتم: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ }» (٣).

ثم بعد ذلك يذبح الموت دلالة على استقرار الحياة للطرفين. من أهل الجنة وأهل النار.

ذبح الموت: قال عنه الرسول ﷺ: «يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي منادٍ: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه - فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}» (١) وأشار بيده إلى الدنيا.

---

(١) رواه ابن ماجة والبيهقي من حديث علي، قال الألباني ضعيف جدًا برقم (٢٢٤٠) ضعيف الترغيب والترهيب.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري (٦١٨٣، ٧٠٨٠).

(٣) البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (٣٠٧٢).

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري (٤٤٥٣).

الموت: الذي هو عرض من الأعراض لا جسماً كما قال القسطلاني: والمعنى يريد الله أن يطمئن أهل الجنة ويزيدهم سرورا بتمثيل الموت الذي هو عرض إليهم في الدنيا ككبش يذبح أمامهم ليهدأ بالهم وتفرح قلوبهم وتستقر اطمئنانا.

أملح: فيه بياض وسواد.

خلود: بقاء وحياة أبد الآبدين.

الأمر: فصل بين أهل الجنة وأهل النار.

غفلة: قال القسطلاني: أهل الدنيا في غفلة والآخرة ليست غفلة يوم أن يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه، إذ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار.

وفي رواية: «**إذا كان يوم القيامة يأتي بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحدا مات فرحاً (كناية عن شدة السرور) لمات أهل الجنة، ولو أن أحدا مات حزناً لمات أهل النار**».

وختاماً: ننادي على أهل الإيمان: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ}[1].

{وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}[2].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}[3].

وننادي على أهل العصيان: {قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ}[4].

فاللهم إنا نسألك الجنة، وما قرَّب إليها من قول وعمل.

اللهم آمين

* * *

(١) سورة التحريم الآية (٨).
(٢) سورة الأعراف الآية (٤٣).
(٣) سورة الصف الآيتان (١١، ١٢).
(٤) سورة الزمر الآية (٥٣).

obeikandl.com

الخاتمــة

وبعد:

فهذا ما وسعني جمعه وكتابته وترتيبه في هذا المقام وهذا الكتاب.

ولك أيها القارئ الكريم في هذا الكتاب غُنمه وعليَّ غُرْمُه - ولك صفوه فما كان من صواب فمن الله الواحد المنان. وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله.

{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ }.

اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الكتـــاب وربنـــا محمـــود ::: ولـــه المكـارم والعـلا والجـود
ثم الصـــلاة علـــى الـــنبي وآلـــه ::: مـــا نـــاح قمـــري وأورق عـــود

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

صدر للمؤلف

بحول الله وقوته

- أولاً: البداية والنهاية في الخطب المنبرية.
- ثانيًا: القول السديد في الوعظ الحميد.
- العنايا الإلهية في المناسبات الدينية.
- القول المبين في تاريخ الكعبة ومسجد خاتم النبيين ﷺ.
- عمل الإنسان في ميزان الإسلام.

ولله الحمد والمنة

* * *

obeikandl.com